المكر اللغوي والمفارقة القولية: قراءة في ومضة "قصر نظر" لناهد موسى

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر؛ جامعة طيبة، السعودية

قصر نظر

سألني محتداً: "ألا تلقين السلام؟". أجبته: "اعذرني! انكسرت نظارتي فضاعت كل الملامح".

بالرغم من أن عنوان الومضة قد يدل على إدانة للراوية، وهذا ما تؤيده ظاهريا كلمة "اعذرني" التي تدل على الاعتذار عن عدم إلقاء السلام هنا، أرى فيها عكس ذلك، فاحتداد هذا الشخص يوحي بتوتر العلاقة بينه وبين الراوية، كما أنه يوحي بوجود علاقة سلطوية بينهما يمثل فيها هذا الرجل سلطة أقوى على الراوية. ومن هنا يأتي الاعتذار في شكل مفارقة ساخرة ليدل على عكس معناه، فقصر النظر هنا يدل على أن ذلك الرجل لا يُرى إلا من خلال نظارة، وكأنه ليس له وجود ولا حضور ذاتي، ومن هنا تنتقم منه الراوية ومن سلطته بطريقتها الماكرة.

تبدأ الومضة بالفعل سألني الذي يشي بأن الومضة أقرب للومضة الحوارية، ويفترن هذا الفعل بكلمة "محتدا" التي تدل على حال السائل عند

طرحه للسؤال. وعندما نقرأ الشؤال ذاته، نجد أنه أقرب للإنكار أو الاستهجان، فينكر السائل على الراوية عدم إلقائها للسلام. والسؤال وطريقة تقديمه من قِبل الراوية يوحي بوجود مقدار كبير من التوتر بينهما، ويشيء أيضا بأن الومضة بدأت نصيًّا بالسئال والتوتر، في حين أن بداية الحدث يمتد إلى ما قبل الومضة بكثير في الزمن. والاحتداد في السؤال احتداد في غير محله لو كان الموقف أو السياق عاديا. فليس أي شخص مطالبا بإلقاء السلام على كل الأشخاص الذين يمر بهم. ولذلك يأتي الاحتداد هنا تعبيرا عن الرغبة في المناوشة، في محاولة استفزاز الراوية، في محاولة فتح مجال للحوار الذي يمكن للمسئول أن يعاود ممارسة سلطته عليها، والاحتداد ذاته تعبير انفعالي عن هذه السلطة.

ويتمثل مكر الراوية في الشق الثاني من الومضة في نقطتين: أولا، لا تقوم بتوصيف حالتها مع الفعل "أجبته" كما قامت بتوصيف هذه الحالة مع الفعل "سألني"، وكأنها تجيب بلا أي انفعال من أي نوع، وكأنها تتكلم ببرود تام مع ذلك الشخص السلطوي. وثانيا، يأتي ردها أو إجابتها على السؤال في شكل مفارقة قولية. والمفارقة القولية – كما ذكرتُ من قبل في أكثر من موضع وعدد في مجلة سنا الومضة القصصية – تتمثل في أن القول يكون له معنى ظاهر غير مقصود ومعنى باطن – وفي الغالب يكون نقيض المعنى الظاهر – وهو المقصود من وراء القول. وتبدأ الراوية إجباتها بطلب

المعذرة، ووراء الفعل "اعذرني" علامة تعجب قد تنسف – على مستوى الكتابة ومظهرها أمامنا على السطر – المعنى المتمثل في هذا الفعل. وهذا ما يتأكد للقارئ من خلال الجملة الحوارية التالية والأخيرة: "انكسرت نظارتي فضاعت كل الملامح". ولا تقوم الراوية بتخصيص كلمة "الملامح" هنا بنسبها إلى ذلك الشخص كي لا تريق ماء وجهه، وهذا من سمات المفارقة القولية أيضا، كأن تقول لشخص أفسد شيئا على سبيل المثال: ما شاء الله! أحسنتَ يا صديقي". فليس القصود هنا الثناء على هذا الشخص، وإنما المقصود توبيخه بطريقة ظريفة تحافظ على ماء وجهه وفي الوقت ذاته توصل له رسالة التوبيخ. وهنا تقوم الراوية بتعميم كلامها بحيث لا ينطبق ظاهريا على السائل بالذات، وإنما يمكنه أن يسري على علاقة نظرِها بكل الأشخاص.

ومن الملاحظ هنا أن انكسار النظارة وما قد يترتب عليه من ضياع ملامح لا يسري على جسم الإنسان ككل، فحتى لو انكسرت نظارة الراوية فعلا، سترى الشخص الذي أمامها أو الذي تمر بجانبه أو عليه، دون رؤية تفاصيل ملامحه الدقيقة جيدا. ومن هنا تكون الإجابة ككل ليست بهدف الاعتذار وإنما بهدف التوبيخ، أو بالأحرى الإهانة والتجريح بشكل لطيف كنوع من مقاومة القهر أو السلطة التي يمارسها ذلك الشخص على الراوية. ومن جوانب المفارقة في إجابة الراوية أيضا أنها قد نقرأها على أنها تلمّح

إلى أن حسن ظنّها بذلك الشخص لم يكن في محله، ولم تقرأ ملامحه جيدا في البداية واكتشفت لاحقا أنها قرأت هذه الملامح/ السمات/ الصفات/ الشخصية قراءة خاطئة، وها هي تقرأها قراءة صحيحة، وتستعمل المفارقة التي لها أكثر من بُعْدٍ لرد الاعتبار لنفسها ولتصحيح ظنّها به.

ومن هنا أيضا يكون عنوان الومضة ذاته مفارقة قولية أخرى ذات بُعدين أيضا، فقصر النظر هنا يتعلق بذلك الشخص الذي لم يستطع أن يلتقط نبرة السخرية في إجابة الراوية، وبذلك يكون هو قصير النظر. كما أن قصر النظر الوارد في العنوان يتعلق بالراوية عندما أحسنت الظن بذلك الشخص، وهو ظنٌّ منعها من أن تقرأ ملامحه بالطريقة المناسبة.

openkandil.com